المتشـــــابه

وآراء العلماء في تأويله

إعداد

د .أحمد محمد رمضان

و د .ملاك محمد ثابت عبد الحميد

الجامعة العراقية . بغداد

issn : 2071-6028

issn : 2071-6028

المقــدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الذي أنزل كتبه لهداية البشر، والصلاة والسلام على أنبياء الله الذين بلغّوا رسالات ربهم بكل أمانة وإخلاص.

وبعد:

فإن الله عز وجل قد شرف أمة العرب بالقرآن المجيد﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾((١))، كتاب الله الذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾((٢))، وخص هذا الكتاب العظيم بالإعجاز الذي حيرّ العقول، وما كانلنا أن نحيط بأسراره، ولقد تكفل الله بحفظه عبر العصور والأزمان، صالحاً لهداية الإنسان في كل زمان ومكان، إنه المنهج الرباني الخالد، رحمة للعالمين وشفاء لما في الصدور، ونوراً يهدي للتي هي أقوم، وبشرى للمؤمنين قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾((٣)). فهو كتاب الله تعالى الخالد، وخاتمة الكتب السماوية المنزلة على ساداتنا أنبياء الله عز وجل ورسله الكرام، عليهم أفضل الصلاة والسلام، شرَّف الله به لغة الضاد بهذا البيان الذي بلغ الإعجاز مبلغه، كان من يسمعه وهم أعلام البلاغة والبيان تنبهر له نفسه وتتفتح لسماعه جوانحه.

فإن سبب اختياري لموضوع: (المتشابه وأثره في القرآن الكريم) لأننا نرى كثيراً من الناس يختلفون في تفسير هذه المتشابهات، وقد يؤدي بهم هذا الاختلاف إلى التمسك ببعض المعاني غير اللائقة بالمولى عز وجل، فلذلك أحببت أن أخوض في هذا المجال، وأبين آراء السلف والخلف فيه، حيث إنه من المعلوم قطعاً أن السلف وإن ابتعدوا عن التأويل، لاكنهم لم يكونوا يجوزون إطلاق هذه الألفاظ على الباري عز وجل بمعناها المتشابه، بل كانوا ينزهون الله تعالى عن كل ما يشوبه النقص في حق الله تعالى من التجسيم والاستقرار والأعضاء وغير ذلك.

وأما علماء الخلف فقد اضطرتهم الظروف، وظهور هؤلاء المجسمة الذين لايرعون في الله حقه من التنزيه. لذلك أخذوا يستعملون المجاز والاستعارات وغيرها في تفسير هذه المتشابهات وهي موجودة في اللغة العربية، لايكونون في ذلك قد أرتكبوا شيئاً مخالفاً للصواب.

((١)) سورة الزخرف، الآية:٤٤.

((٢)) سورة فصلت، الآية ٤٢.

((٣))سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

issn : 2071-6028

فلذلك أحببت أن أخوض في هذه التفصيلات في هذا البحث المتواضع، حيث قسمت البحث إلى مبحثين، على النحو الآتي:

المبحث الأول/مفهوم المتشابه لغة واصطلاحاً وكيفية نشوئهوفوائده.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول/ المعنى اللغوي والاصطلاحي للمتشابه.

المطلب الثاني/ نشوء علم المتشابه.

المطلب الثالث/ فوائد علم المتشابه.

المبحث الثاني/ موقف العلماء و بيان اختلافهم في تفسير و ما يعلم تأويله إلا الله

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول/ موقف العلماء من المتشابه.

المطلب الثاني/ بيان اختلاف العلماء في تفسير﴿ و ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم﴾.

الخاتمة.

المصادر والمراجع .

وختاماً فهذا جهد المقل، فإن كان صواباً فمن الله عز وجل وإن كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، وما التوفيق إلا من عند الله تبارك وتعالى.

المبحث الأول

مفهوم المتشابه لغة و اصطلاحا و كيفية نشوئه و فوائده

المطلب الأول

المعنى اللغوي و الاصطلاحي للمتشابه

المتشابه في اللغة:

يستعمل اللغويون مادة المتشابه فيما يدل على المشاركة في المماثلة و المشاكلة المؤدية إلى الالتباس.وغالبا ما يقال تشابها و اشتبها، أي أشبه كل منها الآخر حتى التبسا[1].و شبه و الشبة و الشبيه:المثل ،والجمع أشباه، واشبه الشيء:ماثله. وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم، و هو

(١)لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١هـ، ط١،دارصادر،بيروت– لبنان مادة شبه:١٣/٥٠٤

issn : 2071-6028

مأخوذ من المتشابه، أي أن يشبه احد الشيئين الآخر بحيث لايتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه عينا كان أو معنى[١]. قال تعالى﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾[٢] أي يشبه بعضه بعضا،والتشابه لغة التماثل. وقيل متماثلا في الكلام و الجودة و تشابه الكلام هو تماثله و تناسبه بحيث يصدق بعضه بعضا[٣].

و قد وصف الله تعالى القرآن كله بأنه متشابه على هذا المعنى، فقد قال الله تعالى

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾[٤]

فالقرآن كله متشابه، أي انه يشبه بعضه بعضا في الكمال و الجودة، و يصدق بعضه بعضا في المعنى، ويماثله في أحكامه وحسنه و بلوغه حد الأعجاز في ألفاظه ومعانيه.

المعنى الاصطلاحي: هو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلاً[٥] فهو اسم لما انقطع رجاء معرفة المراد منه لمن اشتبه فيه عليه[٦]، ولا يتكرر وجود التشابه في الكتاب العزيز، و لكن ميدانه العقيدة و أصول الدين، و لا وجود له في الأحكام التكليفية. لأن المراد من التشابه الحروف المقطعة في أوائل السور، وما استأثر الله جل وعلا بعلمه كقيام الساعة و الروح ووقت خروج المسيح ووقت طلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وصفاته و أفعاله جلت قدرته التي توهم بمشابهتها لصفات و أفعال خلقه، والله تعالى منزه عن ذلك، كصفة الوجه و اليدين، و الاستواء على العرش. وهو المخفي الذي لا يدرك معناه عقلا ولا نقلا، وهو ما أستأثر الله بعلمه[٧].

---

(١)المصدر السابق .

(٢)سورة البقرة، الآية ٢٥

(٣)ينظر المصدر السابق:١٣/٥٠٥، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي:٢/١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٧.

(٤)سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٥)التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأنباري:١/٢٥٣، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ١٤٠٥هـ.

(٦)لسان العرب لأبن منظور:١٣/٥٠٤.

(٧)مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقاني:٢/٢٨٠، ط١، دار الفكر، لبنان ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م. وينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ٢/٩.

issn : 2071-6028

ويعرفه الإمام أحمد بن حنبل بقوله: (أما المتشابه فهو الذي لا يستقل بنفسه، بل يحتاج إلى بيان، فتارة يبين بكذا، وتارة يبين بكذا، لحصول الاختلاف في تأويله)[١].

المطلب الثاني

نشوء علم المتشابه

نعلم مما سبق إن منشأ التشابه إجمالا هو خفاء مراد الشارع من كلامه، فمنه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ، ومنه ما يرجع خفاؤه إلى المعنى، ومنه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ والمعنى[٢].

و ما كان التشابه راجعاً إلى خفاء اللفظ وحده، فهو يقسم إلى مفرد و مركب، والمفرد قد يكون الخفاء فيه ناشئاً من جهة غرابته و ندرة استعماله كما هو وارد في قوله تعالى:﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[٣]. وهو ما ترعاه البهائم بدليل قوله تعالى بعد ذلك:﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ[٤]﴾

ومثال التشابه في المفرد بسبب اشتراكه بين معاني عدة لفظ اليمين في قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾[٥]، أي قيام إبراهيم عليه السلام بضرب أصنام قومه ضرباً شديداً باليمين من يديه لا بالشمال لأن اليمين أقوى الجارحتين. أو قيامه بضربها بسبب اليمين الذي حلفها ونوه بها القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ ﴾[٦]، كل ذلك جائز ولفظ اليمين مشترك بينهما[٧].

و مثال المتشابه في المركب بسبب اختصاره قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾[٨].

فان خفاء المراد فيه جاء من ناحية إيجازه، والأصل: وان خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها

---

(١)جامع البيان عن تأويل آي القران المشهور بتفسير الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ):١٦٩/٣، المطبعة الأميرية، ١٣٢٣هـ.

(٢)مناهل العرفان، للزرقاني : ٢٧٨/٢.

(٣)سورة عبس: الآية ٣١.

(٤)سورة النازعات: الآية ٣٣.

(٥)سورة الصافات: الآية ٩٣.

(٦)سورة الأنبياء: الآية ٥٧.

(٧)المصدر السابق: ٢٧٨/٢.

(٨)سورة النساء: الآية ٥٧.

issn : 2071-6028

ضناً بها، فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن[١]، فإنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهن فأمامكم غيرهن فتزوجوا منهن ما طاب لكم.

و قيل إن القوم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى و لا يتحرجون من الزنا[٢]، فأنزل الله تعالى الآية و معناها إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا أيضا، وتبدلوا به الزواج الذي وسع الله عليكم فيه فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع[٣].

ومثال التشابه الذي يقع في المركب بسبب بسطه و الإطناب فيه مثل قوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٤]، فان حرف الكاف لو حذف وقيل (ليس مثله شيء) كان أظهر للسامع من هذا التركيب الذي ينحل الى (ليس مثل مثله شيء) حيث فيه من الدقة ما يعلوا على كثير من الأفهام[٥]، فقد أشار إلى ذلك الإمام سعد الدينالتفتازاني في كتابه (مختصر المعاني) نقلا عن الإمام السكاكي حيث قال: إذا كان ليس لمثله المفروض فرضاً محالاً، فمثل مثله إذا كان محالاً فمثله بطريق الأولى محال[٦].

ومثال التشابه الذي يقع في المركب لترتيبه و نظمه قوله جلت قدرته: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاً ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا ﴿٢﴾﴾[٧]، ولو قيل: (أنزل الله على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً) لكان أظهر[٨]. و لكن الله سبحانه و تعالى أراد أن يجعل في بيان أن القرآن الكريم ليس فيه عوج ولا نقص ولا تناقض، لذلك قدم قوله: (ولم يجعل له عوجاً). لهذا العرض، ثم أكد هذا بقوله :(قيماً)، لان لفظ قيماً يدل على ما دل عليه، (ولم يجعل له عوجاً).

(فقيماً) بمعنى مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط، أو (قيماً) بمصالح العباد فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال، ، أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره

---

(١)تفسير البيضاوي، للإمام البيضاوي: ١٤١/٢، دار الفكر، بيروت . لبنان.

(٢)المصدر السابق : ١٤٢/٢.

(٣)مناهل العرفان للزرقاني: ٢٧٨/٢.

(٤)سورة الشورى: الآية١١.

(٥)شرح مختصر المعاني للعلامة مسعود بن عمر المشهور بسعد الدين التفتازاني: ١٧٦، دار الكردستاني للنشر والتوزيع، إيران . سنندج، ١٣٠٧هـ.

(٦)مناهل العرفان للزرقاني: ٢٧٩/٢.

(٧)سورة الكهف: الآية١-٢.

(٨)مناهل العرفان للزرقاني: ٢٧٩/٢.

issn : 2071-6028

جعله قيماً، أو على الحال من الضمير في (له)، أو من (الكتاب) على أن الواو (ولم يجعل) للحال دون العطف، إذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلاً بين ابعاض المعطوف عليه، و لذلك قيل فيه تقديم وتأخير[١]. وتأتي في مقدمة هذا المطلب فواتح السور المشهورة لأن التشابه والخفاء في المراد منها جاء من ناحية ألفاظها لا محالة.

أما خفاء المعنى وحده وهو ما كان التشابه فيه راجعاً الى خفاء المعنى وحده. مثال ذلك ماجاء في القرآن الكريم في وصف الله تعالى الأهوال يوم القيامة، أو لنعيم الجنة وعذاب النار فان العقل البشري لا يمكن أن يحيط بحقائق صفات الخالق ولا بأهوال يوم القيامة ولا بنعيم أهل الجنة[٢]. فإن هذا النوع من الخفاء لم يجيء ناحية غرابة في اللفظ، أو اشتراك فيه بين عدة معان، أو إيجاز، أو إطناب مثلاً فتعين أن يكون من ناحية المعنى وحده[٣].

أما خفاؤه في المعنى و اللفظ معا فهناك أمثلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾[٤]. فإن من لا يعرف عادة العرب في الجاهلية لا يستطيع تفسير هذا النص القرآني الكريم على وجهه الصحيح، فقد كان من عادة العرب الأنصار إذا أحرموا في أوقات الحج والعمرة لم يدخل أحداً منهم حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً[٥].

من باب، فان كان من أهل المدر[٦] ثقب ثقباً في ظهر بيته يدخل ويخرج منه، وان كان من أهل الوبر[٧] خرج خلف الخباء[٨]. فبين الله تعالى لهم انه ليس ببر، وإنما البر من اتقى المحارم و الشهوات[٩]، فانزل الله سبحانه و تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١٠]. فهذا الخفاء الذي في هذه

---

(١)تفسير البيضاوي: ٤٧٥/٣، وينظر: تفسير البغوي، للإمام البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك: ١٤٤/٣، دار المعرفة، بيروت . لبنان.

(٢)مناهل العرفان للزرقاني: ٢٨٠/٢.

(٣)المصدر نفسه: ٢٨١/٢.

(٤)سورة البقرة: الآية ١٨٩.

(٥)الفسطاط: بيت الشعر/ مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر: ٢٨٠/٢، دار لبنان ناشرون، بيروت . لبنان، ١٤١٥ هـ.١٩٩٥

(٦)المدر: بيوت الطين، المصدر السابق: ٢٥٨.

(٧)الوبر:بوزن الفجر يوم من أيام العجوز و الوبر بفتحتين للبعير الواحدة وبرة. مختار الصحاح ٢٩٤/١

(٨)مناهل العرفان للزرقاني:٢٨٠/٢.

(٩)تفسير البيضاوي: ٤٧٥/١، وينظر: التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: ١٠٦/٥، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان، ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠م.

(١٠)سورة البقرة: الآية ١٨٩.

issn : 2071-6028

الآية يرجع إلى اللفظ بسبب اختصاره، ولو بسط لقيل: وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها إذا كنتم محرمين بحج أو عمرة.

و يرجع الخفاء إلى المعنى أيضا لان هذا النص على فرض بسطه كما رأيت لابد من معرفة عادة العرب في الجاهلية و إلا تعذر فهمه.

و أكد الراغب الأصفهاني صاحب كتاب الزينة الى أن المتشابه بالجملة اضرب:

الأول: متشابه من جهة اللفظ فقط.

الثاني: متشابه من جهة المعنى فقط.

الثالث: متشابه من جهة اللفظ و المعنى.(١)

والأول ضربان: أحدهما يرجع الى الألفاظ المفردة نحو قوله تعالى:

﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾(٢) ولفظ (يزفون) في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾(٣).

و ثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركب(٤)، وذلك ثلاثة اضرب:

ضرب لاختصار الكلام نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ ﴾(٥).

و ضرب لبسطه نحو قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾(٦) و ضرب لنظم الكلام نحو قوله جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا ۝٢ ﴾(٧)، تقديره انزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً.

والمتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة، فإن تلك الأوصاف لا تتصور لنا، إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، أو ليس من جنسه(٨). والمتشابه من جهتها خمسة أضرب:(٩)

الأول: من جهة الكمية: كالعموم والخصوص نحو ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(١٠)

---

(١)المفردات في غريب القرآن ٢٥٤/١

(٢)سورة عبس: الآية ٣١

(٣)سورة الصافات: الآية ٩٤

(٤)الزينة للعلامة الراغب الأصفهاني: ٢١٦، دار المعارف العربية، بيروت، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي:٩/٢.

(٥)سورة النساء: الآية ٣.

(٦)سورة الشورى: الآية ١١.

(٧)سورة الكهف: الآية ١

(٨)الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:٩/٢.

(٩)المفردات في غريب القرآن ٢٥٥/١

(١٠)سورة التوبة: الآية ٥

issn : 2071-6028

والثاني: من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو قوله تعالى:
﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾(١).

والثالث: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو قوله تعالى:
﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾(٢).

والرابع من جهة المكان و الأمور التي نزلت فيها نحو قوله تعالى:﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾(٣) وقوله:﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾(٤). فإن من لا يعرف عاداتهم في الجاهلية يتعذر عليه تفسير هذه الآية.

والخامس: من جهة الشروط التي يصح بها الفعل و يفسر، كشروط الصلاة و النكاح. وبذلك نفهم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم(٥).

المطلب الثالث

فوائد التشابه

ذكر المحققون من العلماء فوائد كثيرة في إنزال المتشابهات، نذكر منها:

أولا: انه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول إلى الحق أصعب و اشق. فزيادة المشقة توجب زيادة الثواب(٦).

قال تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٧).

ثانيا: انه لو كان كله محكماً لكان مطابقاً لمذهب واحد، فكان على هذا التقدير تعريفه مبطلاً لكل ما سوى هذا المذهب، وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به. أما لو كان مشتملاً على المحكم و المتشابه فحينئذ ينظر في جميع أرباب المذاهب ويجتهد في التأويل كل صاحب مذهب، وإذا بالغوا في ذلك التأويل صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات، فبهذا الطريق يتخلص المبطل عن باطله فنصل إلى الحق(٨).

ثالثا: إن القران إذا كان مشتملاً على المحكم و المتشابه افتقر الى العلم بطريق التأويلات و ترجيح بعضها على بعض، وافتقر إلى تعلم ذلك. أي تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو

---

(١)سورة النساء: الآية ٣.
(٢)سورة آل عمران:الآية ١٠٢.
(٣)سورة البقرة: الآية ١٨٩.
(٤)سورة التوبة: الآية ٣٧.
(٥)مناهل العرفان للزرقاني:٢/٢٨١.
(٦)أساس التقديس: لمحمد بن عمر الرازي، ت ٦٠٦هـ:١٩٠، مطبعة الياس الحلبي، مصر، ١٣٥٤هـ.
(٧)سورة آل عمران: الآية ١٤٢.
(٨)أساس التقديس، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢/٣٤.

issn : 2071-6028

والمعاني والبيان وأصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، وكان لإيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة(١).

رابعا: إن القران إذا كان مشتملاً على المحكم و المتشابه افتقر الناظر فيه إلى الاستعانة بدلائل العقل والاستكثار من سائر العلوم، وحينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد ويصل إلى ضياء الإستدلال والحجة. أما لو كان محكماً لم يفتقر إلى التمسك.

خامسا: إن القران مشتمل على دعوة الخواص و العوام تنبؤا في أكثر الأمور عن إدراك الحقائق العقلية المحضة. فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظن إن هذا عدم محض فوقع في التعطيل، فكان الأصح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما تخيلوه و توهموه، ويكون مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح(٢).

فالقسم الأول: وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر يكون من باب المتشابهات والقسم الثاني: وهو الذي يكشف لهم في آخر الأمر هو من المحكمات(٣). ونضيف إلى ما سبق كلام الإمام محمد عبده(٤) لفائدته:

أولاً: إن الله انزل المتشابه ليمتحن قلوبنا في التصديق به، فانه لو كان كل ما ورد في الكتاب معقولاً واضحاً لا شبهة فيه عند احد من الأذكياء و لا البلداء، لما كان في الإيمان شيء من معنى الخضوع لأمر الله، و التسليم لرسله(٥).

ثانيا: جعل الله المتشابه في القران حافزاً لعقل المؤمن إلى النظر كي لا يضعف فيموت. فان السهل الجلي جداً لا عمل للعقل فيه، و الدين اعز شيء على الإنسان، فإذا لم يجد فيه مجالاً يموت فيه، وإذا مات فيه لا يكون حيا بغيره. فالعقل شيء واحد إذا قوي في شيء قوي في كل شيء، وإذا ضعف في شيء ضعف في كل شيء، ولذلك قل تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾(٦). ولم يقل (والراسخون في الدين) لأن العلم أعم واشمل، فمن رحمته تعالى إن جعل في الدين مجالاً لبحث العقل بما أودع فيه من المتشابه، فهو يبحث أولاً في تمييز المتشابه من غيره، وذلك يستلزم البحث في الأدلة الكونية والبراهين العقلية وطرق الخطاب ووجوه الدلالة ليصل إلى فهمه

---

(١)المصدران نفسهما .

(٢)الإتقان في علوم القران للسيوطي: ٤٣/٢.

(٣)أساس التقديس للرازي:١٩١.

(٤)هو محمد بن عبده بن حسين، الأستاذ و الإمام، مفتي الديار المصرية، ومن زعماء الإصلاح في العصر الحديث، توفى سنة ١٣٢٣هـ. ينظر: معجم المطبوعات العربية ليوسف الياس سركيس:١٦٧٧، طبعة مصر، لسنة١٩٢٨م.

(٥)تفسير القران الحكيم المسمى (تفسير المنار) للشيخ محمد عبده:١٧١/٣، مطبعة المنار، مصر، ١٣٢٤هـ.

(٦)سورة آل عمران: الآية ٧.

issn : 2071-6028

ويهتدي إلى تأويله. وهذا الوجه لا يأتي إلا على قول من عطف (والراسخون) على لفظ الجلالة، وليكن كذلك[١].

ثالثاً: إن الأنبياء بعثوا الى جميع الأصناف من عامة الناس و خاصتهم، سواء كانت بعثتهم لأقوامهم خاصة كالأنبياء السابقين عليهم السلام، أو لجميع البشر كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فإذا كانت الدعوة الى الدين موجهة الى العالم والجاهل، والذكي والبليد، والمرأة والخادم، وكان من المعاني ما لايمكن التعبير عنه بعبارة تكشف عن حقيقته، وتشرح كنهه بحيث يفهمه كل مخاطب عامياً كان أو خاصياً، ألا يكون في ذلك من المعاني العالية والحكم الدقيقة ما يفهمه الخاصة ولو بطرق الكناية والتعريض، ويؤثر العامة بتفويض الأمر الى الله تعالى والوقوف عند حد المحكم، فيكون لكل نصيبه على قدر استعداده[٢] .

المبحث الثاني

موقف العلماء و بيان اختلافهم في تفسير

﴿وما يعلم تأويله إلا اللّه﴾

المطلب الأول

موقف العلماء من المتشابه

إن الذي يتابع أقوال العلماء في هذا الأمر سيجد آراءهم متباينة ، ولكل منهم وجهة نظر في ذلك، وفيما يأتي عرض لها:

قال الإمام الزركشي[٣]:

---

(١)تفسير المنار لمحمد عبده: ١٧٠/٣.

(٢)تفسير المنار، لمحمد عبده ١٧١/٣.

(٣) هو محمد بن بهادر بن عبد الله بدر الدين أبو عبد الله الزركشي المصري المولد والوفاة، أصله من الأتراك، وهو ينتسب إلى مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي. ولد سنة(٧٤٥ هـ)، ولقب بالزركشي نسبة إلى الزركش لأنه تعلم صنعة الزركش في صغره، تعلم علم المنطق والنحو والصرف و البلاغة وعلم الكلام وغيرها على يد كثير من علماء عصره ومنهم: الشيخ جمال الدين الأسنوي، والشيخ سراج الدين البلقيني وغيرهما، له من التصانيف الكثير بحيث سمي بالمصنف لكثرة مؤلفاته، توفي في القاهرة سنة(٧٥٤هـ).

ينظر ترجمته في: البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الشافعي الزركشي(٧٩٤.٧٤٥هـ): ٨٠٧/١، ط١، طبعة وزارة الأوقاف للشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٩هـ .١٩٨٨م. وطبقات الشافعية، لأبي بكر بن احمد بن محمد بن عمر بن قاضي شعبة، تحقيق: د.الحافظ عبد العليم خان:١٦٧/٣، ط١، عالم الكتب، بيروت . لبنان،١٤٠٧هـ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد عبدالحي بن احمد بن محمد الحنبلي، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، ٣٣٥/٦، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان: ١٧/٤، ط٢، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد . الهند، ١٣٩٢هـ .١٩٧٢ م، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن ثغري الأتابكي:١٣٤/١٢، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

issn : 2071-6028

اختلف الناس في الآيات المتشابهة على ثلاث فرق:

إحداها: انه لا مدخل للتأويل[١] فيها، بل تجري على ظاهرها ولا نؤول شيئا منها، وهذا القول للمشبهة[٢]، فمنهم من شبه في الذات باعتقاد اليد و القدم و الوجه، فوقعوا في التجسيم الصريح و مخالفة أي التنزيه المطلق.

ومنهم من شبه في الصفات كإثبات الجهة و الاستواء والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك فآل قولهم إلى التجسيم، وذلك تمسكا بالتفسير الحرفي للآيات الموهمة للتشبيه والتجسيم[٣].

قال ابن الجوزي الحنبلي(وهو من نفاة التشبيه)[٤]: (إعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه على مقتضى الحس، فشبهوا، لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم)[٥].

---

(١) التأويل: هو حرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، ينظر: محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي:٣/٧٦٣، دار الفكر،بيروت.

(٢) المشبهة: وهم جماعة من أهل الحديث الحشوية والشيعة ومنهم مقاتل بن سليمان(ت:١٥٠هـ) المفسر، وفرقة الكرامية أتباع ابن كرام السجستاني (ت ٢٥٥ هـ)، واللذين حرصوا على التشبيه و قالوا: إن معبودهم على صورة ذات أعضاء و ابعاض، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود وغير ذلك. ينظر: الملل والنحل، لابي الفتح محمد عبدالكريم احمد الشهرستاني(ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني: ١/١٠٥، ط٢، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ١٩٧٥. وينظر: دراسات في الفرق و العقائد الإسلامية، للدكتور عرفان عبدالحميد: ١٩٨-٢٠٠، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط١، ١٣٨٧هـ.

(٣) مقدمة ابن خلدون، لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: ٤٦٣ . ٤٦٤، ط٥، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م، وأصول الدين الإسلامي، للدكتور رشدي محمد عليان، والدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري: ١٢٦-١٢٧، ط٤، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م.

(٤) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن الجوزي الحنبلي، ولد سنة خمسمائة أو قبلها، وكان واعظاً متفنناً، درس العلم على يد كثير من العلماء، وله من التصانيف الكثيرة و الشهيرة في أنواع العلم من التفسير والحديث والفقه والزهد والوعظ والأخبار والتاريخ والطب وغير ذلك، حيث سئل عن عدد تصانيفه فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفا، توفى سنة ٥٩٧هـ. ينظر ترجمته في: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي:٤/٣٢٩-٣٣١، وكشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد اللهالقشطيني الرومي الحنفي: ١/٩١٥، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٥) تلبيس إبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(ت٥٩٧هـ): ١١٣، ط٢، المطبعة المنيرية.

issn : 2071-6028

الثاني: أن لها تأويلاً و لكنا نمسك عنه مع تنزيه اعتقادنا عن الشبة والتعطيل ونقول: لا يعلمه إلا الله[١]، وهو مذهب السلف[٢]، فهؤلاء آمنوا بهذه الصفات وأجروها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لمعناها ببحث و لا تأويل، مع تغليبهم أدلة التنزيه لوضوح دلالتها، وكثرتها، وعلمهم باستحالة التشبيه. لذا قال كثير منهم (أقرؤوها كما جاءت). أي: آمنوا بأنها من عند الله، ولا تتعرضوا لتأويلها ولا لتفسيرها[٣].

فقد فسر الأمام مالك بن أنس[٤](رحمه الله):﴿الرحمن على العرش استوى﴾[٥] بقوله: (استواء معلوم، و الإيمان به واجب، والكيفية مجهولة، والسؤال عنها بدعة)[٦].

و في ذلك يقول ابن رشد[٧]: (إن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الأقاويل دون تأويلات فيها)[٨].

الثالث: أنها مؤولة، وأولوها على ما يليق به[٩]، وهذا ما ذهب إليه المعتزلة[١٠].

---

(١) البرهان في علوم القران، لمحمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٧٨/٢، ط١، دار الفكر، بيروت.

(٢) السلف: هم الصحابة و التابعون. ينظر: أصول الدين الإسلامي للدكتور رشدي عليان:٢٦

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٤٦٣.

(٤) هو عبدالله مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر التميمي الأصبحي الحميري، إمام أهل المدينة، واحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ألف كتابه الضخم (الموطأ) في الحديث والفقه خلال أربعين سنة. توفى بالمدينة سنة(١٧٩هـ). ينظر ترجمته في: أسماء التابعين: لعلي بن عمر البغدادي الدر القطني (ت ٣٨٥هـ . ٩٩٥هـ):٣٥٤/١، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤هـ . ١٩٦٥م. ووفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، لأبي العباس احمد بن محمد المعروف بابن خلكان(ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس:٥٥٥/١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٦٧هـ.

(٥) سورة طه: الآية ٥.

(٦) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، للدكتور عرفان عبد الحميد:١٩١.

(٧) هو أبو الوليد محمد بن احمد بن محمد احمد بن رشد القرطبي الأندلسي المالكي الشهير بابن رشد الحفيد، ولد سنة ٥٢٠ هـ ، فهو قاضي الجماعة بقرطبة ومفتيها، ودرس المنطق والفلسفة وعلم الكلام واللغة وغيرها على يد كثير من العلماء، وروى عن أبي علي الغساني، وأبي مروان بن سراج وغيرهما. وله تصانيف كثيرة ومشهورة أهمها: تهافت التهافت، وبداية المجتهد، توفى سنة ٥٩٥هـ. ينظر: العبر في خبر من غبر، لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د.صلاح الدين المنجد: ٤٧/٤، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م.

(٨) فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة من الاتصال، لأبي الوليد ابن رشد (ت ٥٩٥هـ): ٦٥، دار المعارف، مصر.

(٩) البرهان في علوم القران للزركشي: ٧٨/٢.

(١٠) المعتزلة: فرقة إسلامية كانت طريقتهم في معرفة العقائد وإثباتها والدفاع عنها عقلية خالصة، و كانت ثقتهم بالعقل و مدركاته لا يحدها إلا احترامهم لأوامر الشرع، فكل مسالة من مسائلهم يعرضونها على العقل فما قبله أقروه، وما لم يقبله أولوه، وكان ظهور هذه الفرقة في بداية القرن الثاني للهجرة، ومن أوائل رجالاتها: واصل بن عطاء (٨٠ . ١٣١ هـ)، أصول الدين الإسلامي للدكتور رشدي عليان و الدكتور قحطان الدوري: ٢٧.

issn : 2071-6028

و اخذ به مع تعديلات طفيفة عامة المسلمين من شيعة وسنة: ماتريدية[١] وأشاعرة، وفي ذلك يقول الإمام الرازي: (جميع فرق الإسلام مقرون بأنه لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن و الأخبار)[٢].

وذلك لأنه ثبت عندهم بالدليل العقلي أن الله تعالى منزه عن الجسمية والجهة، ولا سبيل للقضاء على التشبيه إلا إذا أولت الصفات الخبرية الواردة بالنصوص[٣].

و لكل فرقة من تلك الفرق حجة فيما ذهبوا:

فذهب المشبهة إلى أن التأويل ظن، ولا يصح الظن في صفات الله تعالى[٤]. وحجة السلف: إنهم عرفوا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء، فلا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبه شيئاً منها، إلا أن لا نعرف معنى اللفظ الوارد في الآيات المتشابهة، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات و تأويلها، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له و ليس كمثله شيء، وذلك قد أثبتناه يقيناً[٥].

أما حجة المتأولين انه سبحانه وتعالى منزه عن الجهة والجسمية، فوجب علينا أن نضع لهذه الألفاظ الواردة في القران و الإخبار محملاً صحيحاً لئلا يصير ذلك سبباً للطعن فيه[٦]. فقد قال الإمام الرازي:(إن المصير إلى التأويل أمر لابد منه لكل عاقل)[٧]. وقال الشيخ عزالدين بن عبد السلام: (طريقة التأويل بشرطها، أقربها إلى الحق)، ويعني بشرطها: أن يكون على مقتضى لسان العرب[٨].

---

(١) الماتريدية: نسبة إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الأنصاري (ت٣٣٣هـ)، وهم طائفة الفقهاء الأحناف مقلدو الإمام أبي حنيفة (١٥٠هـ)، وصاحبيه: أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحضرمي، ومحمد بن الحسن الشيباني. أصول الدين الإسلامي للدكتور رشدي العليان والدكتور الدوري:٥١.٥٢.

(٢) أساس التقديس في علم الكلام، لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ): ٧٩، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

(٣) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، للدكتور عرفان عبد الحميد:٢٠٣.

(٤) تاريخ الفرق الإسلامية، للدكتور علي مصطفى الغرابي: ٢٩٧، ط٢، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٩٨٥م.

(٥) الملل و النحل، للشهرستاني: ٩٢/١.

(٦) أساس التقديس للرازي: ٨٢.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المسايرة، للكمال بن الهمام (ت٨٦١هـ)، مطبعة السعادة، مصر.

issn : 2071-6028

المطلب الثاني

بيان اختلاف العلماء في تفسير

﴿وما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم﴾

قبل الدخول في هذا الموضوع لابد من بيان معنى الرسوخ في اللغة، وأقوال أهل العربية في الآية الخاصة بالموضوع.

قال القرطبي[١]: الرسوخ: الثبوت في الشيء وكل ثابت راسخ، وأصله في الأجرام أن يرسخ الجبل والشجر في الأرض، ويقال رسخ الإيمان في قلب فلان، يرسخ رسوخاً[٢]. قال الشاعر:

لقد رسخت في الصدر مني مودة ..... لليلى أبت آياتها أن تغيرا[٣].

وهذا معنى الرسوخ في اللغة.

أما كلام أهل العربية في قوله تعالى:﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾[٤].

فقد قال الفراء[٥] بعد ذكر الآية:{وفي قراءة أُبي:(وما يعلم تأويله الا الله ويقول الراسخون)، وفي قراءة عبدالله بن مسعود: (إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون...).إلا إن القراءة التي اجمع عليها سلف الأمة وخلفها هي المكتوبة في المصاحف}[٦].

أما أهل العلم فقد اختلفوا في قوله تعالى ﴿ والراسخون في العلم ﴾[٧].

ونظراً لكثرة الأقوال في هذه المسألة و تشعبها، فقد اخترت تقرير الشوكاني[١] عن هذه المسألة لكونه موجزاً وشاملاً لها.

---

(١) هو محمد بن احمد بن عبده الأنصاري القرطبي، من كبار علماء المالكية، صاحب التفسير المشهور، توفى سنة ٧٦١هـ. ينظر: الديباج المذهب، لابن فرحون احمد بن إبراهيم الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، ٣٠٧، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٥١هـ.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن احمد القرطبي: ١٤/٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.

(٣) المصدر نفسه، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني: ٣١٦/١، دار الفكر، بيروت.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٥) هو يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي، إمام العربية واعلم الناس بالنحو والقراءات في زمانه. توفى سنة ٢٠٧هـ. ينظر: بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ١٢٦/١، دار السعادة، القاهرة.

(٦) فتح القدير الجامع بين علمي الرواية و الدراية من علم النفس، لمحمد بن علي الشوكاني: ٢٨، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٧.

issn : 2071-6028

فبين الشوكاني اختلاف العلماء في هذه الآية: هل هو كلام مقطوع عما قبله، أو معطوف على ما قبله؟ فتكون الواو للجمع،

والذي عليه أكثر العلماء انه مقطوع عما قبله، وإن الكلام تم عند قوله تعالى:﴿إلا الله ﴾. وهذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وأبي الشعثاء وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والفراء والأخفش وأبي عبيدة، وحكاه ابن جرير عن مالك واختاره، وحكاه الخطابي عن ابن مسعود وأُبي بن كعب(٢).

وروي عن مجاهد انه عطف الراسخين على ما قبله، و زعم أنهم يعلمونه، واحتج له بعض أهل اللغة فقالوا: معناه والراسخون في العلم يعلمونه قائلين: (آمنا به)، وقالوا ان موضع (يقولون) نصب على الحال.

وعامة أهل اللغة ينكرونه و يستبعدونه لان العرب لا تضمر الفعل والمفعول معاً، ولا تذكر حالاً، إلا مع ظهور الفعل، فإذا لم يظهر فعل لم يكن حالاً، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال: عبدالله راكباً، يعني أقبل عبدالله راكباً، وإنما يجوز ذلك مع ذكر الفعل كقوله: عبدالله يتكلم يصلح بين الناس، فصح أن يكون (يصلح) حالاً هنا.

فقول عامة أهل العلم مع قول مذاهب النحويين في هذه المسألة أولى من قول مجاهد. وأيضاً فانه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه، ثم بعد ذلك يثبته لغيره أيضاً، فيكون له في ذلك شريك في العلم.

ولو كان الواو في قوله ﴿والراسخون﴾ للعطف، لم يكن هنالك معناً لقوله: (كل عند ربنا)(٣).

و هذا صفوت ما قاله العلماء في المسألة فلا خلاف بين العلماء في المقصود بالمتشابه في جميع ما ورد في القران الكريم. إذ أن منه ما لا يعلم البتة كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بعلمه، وهذا لا يتعاطى علمه احد(٤).

و كذلك فواتح السور فإنها غير متضحة المعنى ولا ظاهرة الدلالة إلا بالنسبة إلى أنفسها، أي في ذاتها، لأنه لا يدري من يعلم لغة العرب أو يعرف عرف الشرع ما معنى الم، حم، طس، وغيرها، لأنه لا يجد بيانها في شيء من كلام العرب، ولا من كلام الشرع. فهي غير متضحة المعنى(٥).

---

(١) هو محمد بن علي الشوكاني، فقيه و مفسر ونحوي، من مشاهير علماء أهل اليمن. توفى سنة١٢٥٠هـ. معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس:١١٦٠.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ٢٨٥/١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه : ٢٨٧/١

issn : 2071-6028

ومنه ما يعلم وهذه قد اختلف أهل العلم فيها على قولين:

الأول: وهم القائلون بان المتشابه مما استأثر الله بعلمه، وقد ذكرنا حججهم فيما مضى ونضيف إلى ذلك بعض ما ورد من أقوال العلماء في ذلك. قد روي عن عبيدة السليماني[١] انه قال: من أين يعلمون تأويله؟ وإنما انتهى علم الراسخين إلى أن قالوا: (آمنا به كل من عند ربنا)[٢].

وسئل الإمام مالك[٣] عن قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ أيعلم تأويله الراسخون في العلم؟ قال: لا، إنما معنى ذلك إن قال: و ما يعلم تأويله الراسخون في العلم، ثم أخبر فقال: والراسخون في العلم يقولون: (آمنا به كل من عند ربنا) و ليس يعلمون تأويله[٤].

و قال الطبري[٥]: المحكم من آي القرآن ما عرف العلماء و تأويله و فهموا معناه و تفسيره، والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، والراسخون في العلم يقولون: (آمنا به كل من عند ربنا)[٦].

الخاتمة

بعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث بعون الله تعالى، لابد لنا من وقفة تأمل واستذكار لما حققه هذا البحث من مقاصد، وما توصلت إليه من نتائج، فأقول بإيجاز :

١. تناولت في بحثي المتواضع هذا معنى المتشابه عند أهل اللغة وعند أهل الإصطلاح.
٢. إن منشأ علم المتشابه إجمالاً هو خفاء مراد الشارع من كلامه، فمنه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ، ومنه ما يرجع خفاؤه إلى المعنى، ومنه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ والمعنى ولكل تقسيم.
٣. ذكر المحققون من العلماء أن للمتشابه فوائد كثيرة فهو الطريق الموصل إلى الحق.
٤. إن الطريق السليم في حكم المتشابه هو التسليم به، وعدم القطع بمراده، ولاسيما مما أستأثر الله جلت قدرته بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور.
٥. إن الحكمة من المتشابه هي الدعوة الى التفكر والنظر والتبصرة والبحث من أجل الوصول الى المعرفة لأن ديننا نهانا عن التقليد الأعمى كما أن موصلة البحث يكون أرجى في الأجر.
٦. إن المحكم ما وضع معناه ولا يحتمل التأويل أما المتشابه فهو ما أحتمل أوجهاً ولا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره ويؤمن به ولا يعمل به.

والحمدلله رب العالمين

---

(١) هو عبيدة بن عمرو السلماني، كان فقيها ومن كبار التابعين حيث اخذ العلم عن كثير من الصحابة. توفى سنة ٧٢هـ. ينظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي:٧٨/١.

(٢) سورة آل عمران: الآية٧.

(٣) قد سبقت ترجمته في البحث.

(٤) فهم القرآن ومعانيه، لأبي عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي،ط٢، دار الكندي،بيروت – ١٣٩٨هـ.

(٥) وهو محمد بن جرير الطبري، كان إمام ومجتهد ومفسر ومؤرخ. توفى سنة ٣١٠هـ. ينظر: شذرات الذهب لابن عماد: ٢٦٠/٢.

(٦) المصدر نفسه .

issn : 2071-6028

المصـــادر والمـــراجع

القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٧م.

٢. أساس التقديس في علم الكلام، لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

٣. أساس التقديس: لمحمد بن عمر الرازي، ت ٦٠٦هـ، مطبعة الياس الحلبي، مصر، ١٣٥٤هـ.

٤. أسماء التابعين: لعلي بن عمر البغدادي الدر القطني (ت ٣٨٥هـ . ٩٩٥هـ)، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤هـ . ١٩٦٥م.

٥. أصول الدين الإسلامي، للدكتور رشدي محمد عليان، والدكتور قحطان عبدالرحمن الدوري، ط٤، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م.

٦. البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الشافعي الزركشي(٧٤٥-٧٩٤هـ)، طبعة وزارة الأوقاف للشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٧. البرهان في علوم القران، لمحمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر، بيروت.

٨. بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي، دار السعادة، القاهرة.

٩. تاريخ الفرق الإسلامية، للدكتور علي مصطفى الغرابي، ط٢، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٩٨٥م.

١٠. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، ١٤٠٥هـ.

١١. تفسير البغوي، للإمام البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة، بيروت . لبنان.

١٢. تفسير البيضاوي، للإمام البيضاوي، دار الفكر، بيروت . لبنان.

١٣. تفسير القران الحكيم المسمى (تفسير المنار) للشيخ محمد عبده، مطبعة المنار، مصر، ١٣٢٤هـ.

١٤. التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان، ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠م.

١٥. تلبيس إبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، ط٢، المطبعة المنيرية.

issn : 2071-6028

١٦. جامع البيان عن تأويل آي القران المشهور بتفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، المطبعة الأميرية، ١٣٢٣هـ.
١٧. الجامع لأحكام القران، لمحمد بن احمد القرطبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.
١٨. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، للدكتور عرفان عبدالحميد، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط١، ١٣٨٧هـ.
١٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبدالمعيد ضان، ط٢، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد . الهند، ١٣٩٢هـ .١٩٧٢ م.
٢٠. الديباج المذهب، لابن فرحون احمد بن إبراهيم الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٥١هـ.
٢١. الزينة للعلامة الراغب الأصفهاني، دار المعارف العربية، بيروت.
٢٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد عبدالحي بن احمد بن محمد الحنبلي، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.
٢٣. شرح مختصر المعاني للعلامة مسعود بن عمر المشهور بسعد الدين التفتازاني، دار الكردستاني للنشر والتوزيع، إيران . سنندج، ١٣٠٧هـ.
٢٤.طبقات الشافعية، لأبي بكر بن احمد بن محمد بن عمر بن قاضي شعبة، تحقيق: د.الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت . لبنان،١٤٠٧هـ.
٢٥. العبر في خبر من غبر، لشمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د.صلاحالدين المنجد، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م.
٢٦. فتح القدير الجامع بين علمي الرواية و الدراية من علم النفس، لمحمد بن علي الشوكاني، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٤٩هـ.
٢٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
٢٨. فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة من الاتصال، لأبي الوليد ابن رشد(ت ٥٩٥هـ)، دار المعارف، مصر.
٢٩. فهم القرآن ومعانيه ، لأبي عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، تحقيق : حسين القوتلي،ط٢، دار الكندي،بيروت – ١٣٩٨هـ.

issn : 2071-6028

٣٠. كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد اللهالقشطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ١٤١٣هـ .١٩٩٢م.
٣١. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١هـ، ط١،دارصادر ،بيروت– لبنان.
٣٢. محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر ،بيروت.
٣٣. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، دار لبنان ناشرون، بيروت . لبنان، ١٤١٥ هـ .١٩٩٥م.
٣٤. المسايرة، للكمال بن الهمام (ت٨٦١هـ)، مطبعة السعادة، مصر
٣٥.معجم المطبوعات العربية ليوسف الياس سركيس، طبعة مصر، لسنة١٩٢٨م.
٣٦. مقدمة ابن خلدون، لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ط٥، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.
٣٧. الملل والنحل، لابي الفتح محمد عبدالكريم احمد الشهرستاني(ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط٢، دار المعرفة، بيروت . لبنان.
٣٨. مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ط١، دار الفكر، لبنان ، ١٤١٦ هـ .١٩٩٦م.
٣٩. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن ثغري الاتابكي، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.
٤٠. وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، لأبي العباس احمد بن محمد المعروف بابن خلكان(ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٦٧هـ.

issn : 2071-6028